الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة

تأليف : د. محسن باقر الموسوي

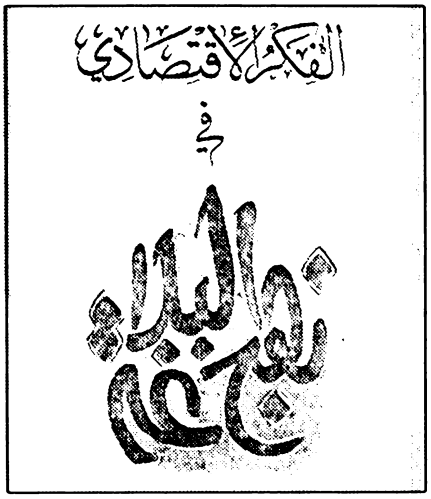

للكاتب والباحث العراقي الدكتور محسن باقر الموسوي ، صدر كتاب «الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة» من منشورات مؤسستي «الثقلين الثقافية»و«نهج البلاغة» حاول من خلاله الاجابة على سؤال : هل في نهج البلاغة فكر اقتصادي ؟

واوضح الدارس ان طريقته في استكشاف الفكر الاقتصادي للامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) من خلال المجموعة المختارة من كلماته التي اشتملت على الخطب والرسائل والكلمات القصار التي قالها الامام (عليه السلام) في

مناسبات مختلفة وفي اوقات متباينة ، وقام بجمعها الشريف الرضي (رحمه الله) في نهج البلاغة ، هذه الطريقة او المنهج الذي سار عليه الباحث تمثل في استخراج النصوص الاقتصادية ومن ثم تصنيفها الى اربع دوائر رئيسية تتضمن نظرة عامة للاقتصاد الاسلامي من خلال هذه النصوص ، والسياسات الاقتصادية ، والفقر اسباباً ومعالجات، والتنمية الشاملة في رؤية الامام (عليه السلام)، ومن بعد ذلك رصد المصطلحات الاقتصادية .

ويشير الى انه يعني بنهج البلاغة كل ما ورد عن امير المؤمنين، سواء ما جمعه الشريف الرضي او ذلك الكم الكبير والنوعي من كلامه الامام والذي استخرجه آخرون غير السيد الرضي او ما يزال خبيناً في كتب التراث .

ويبدي الباحث رفضه للمنهج المقارن الذي يعتمد بتويب النصوص الاسلامية على ضوء الدراسات الحديثة ويرى ان فائدته تنحصر في جانب الاستدلال على مجاراة النصوص الاسلامية للعلوم الحديثة، وبالتالي فانه لا يؤسس معرفة اسلامية ولا يحقق التغذية الفكرية من منابع الفكر الاسلامي. وانما منهجه المقارن يقوم على اساس آخر يتمثل في الدخول الى الحياة من زاوية

الشهيد ... العطار
للكتاب ...

النصوص الاسلامية، ويكون فيه دور العلوم الحديثة هو فتح آفاق ارحب امام النص ليشق طريقه الى الحياة كمنهج شامل لا يشوبه النقص .

يتكون الكتاب من اربعة فصول. في الفصل الاول بحث (الاقتصاد بصورة عامة). وتناول فيه معنى الاقتصاد، وبدا فيه معترضاً على ما يذهب اليه بعض المفكرين الاسلاميين من الفصل بين علم الاقتصاد والمذهب الاقتصادي، ويرى ان الامام (عليه السلام) قد تضمن كلامه الجانبين معاً. ليرد على القول باختصاص الاسلام بالمذهب الاقتصادي فقط .

ثم يتطرق الى الاقتصاد والقاعدة العقيدية ، فيؤكد ان الامام امير المؤمنين (عليه السلام) يرسي نظريته في عمارة البلاد واسعاد العباد على اصلين او ركنين اساسيين في الاقتصاد، هما : الطبيعة وما تدخره من نعم، والمسؤولية وما تتضمنه من عمل الخير، فيخالف الكاتب في هذا كون الملكية المنطلق والمدخل الى الاقتصاد الاسلامي وهي ركن اساسي من اركان النظام الاقتصادي للاسلام - في نظر هذا الفريق من المفكرين- ويرد على ذلك ان نظرية الملكية لا تنسجم مع مبدأ كون المالك هو الله تبارك وتعال ى، وانها نظرية رأسمالية القول بها ناشئ من التأثر بالفكر الرأسمالي . وان القول بها يؤدي الى القول بالحرية الاقتصادية، وانها لا تستقيم مع مبدأ الخلافة في الارض، وكذلك مع منظومة القيم والافكار والمفاهيم الاسلامية، وانها لاتنسجم مع التطور الاقتصادي المطلوب .

ويقسم الدكتور الموسوي الاعمال الى : الزراعة والرعي والصناعة والتجارة والخدمات فيتناول كل عنوان من هذه العناوين بالشرح ويناقش من خلاله بعض الاراء التي لا يتفق معها او يؤكد بعضها الآخر ضمن مناقشة علمية هادئة . كما يتحدث عن المرأة والعمل .

وفي دراسته للمشكلة الاقتصادية، يعرض الباحث الآراء الواردة في هذا الصدد، وهي : نظرية الندرة، ونظرية العلاقات الانتاجية، ونظرية طبيعة الانسان، فيذهب الى ان الاخيرة هي نظرية القرآن الكريم من خلال مسؤولية الانسان امام الطبيعة وامام نفسه وامام المجتمع .

ويفرد الفصل الثاني للسياسات الاقتصادية، فيناقش مبدأ تدخل الدولة واقوال الاقتصاديين بالاقتصاد الحر والاقتصاد المخطط ، فيؤكد من خلال عهد الامام امير المؤمنين (عليه السلام) الى مالك الأشتر صحة نظرية تدخل الدولة، ويحدد كذلك وظائف الدولة . ومن بعد ذلك يتعرض الى اهداف السياسة الاقتصادية وانواع السياسات الاقتصادية .

وفي الفصل الثالث يهتم الباحث بمسألة الفقر والغنى، ويستنتج من كلمات الامام (عليه السلام) اسباب الفقر، وهي تمركز الثروة، وحصر مصادرها في طبقة خاصة، واستئثار الحاكم بالاموال. والبطالة التي تنشأ اما عن الاسباب المذكورة آنفاً او عن الكسل والعجز، ومن الاسباب التي يراها

البخل ثم التبذير، والاحتكار، والرهبنة .

وفي معالجة مسالة الفقر يقسمها الى قسمين رئيسين، هما : التوصيات الاخلاقية بالقناعة والصبر والاستقامة والعفة وما الى ذلك؛ والخطط الاقتصادية التي تتفرع الى ما يقوم به الافراد، وما يقوم به المجتمع بمجموعه، وما تقوم به الدولة . ويصل بعد ذلك الى تقديم طرق للوقاية من الفقر .

اما في الفصل الرابع، فيتطرق الى التنمية الاقتصادية، متحدثاً عن استراتيجية التنمية من انها تقوم على مبدأين هما : تنمية الانسان والمجتمع، وتنمية الموارد . كما يبحث اهداف التنمية والقوانين التي طرحها الاسلام كقاعدة متينة للتنمية في النظام الاقتصادي الاسلامي، وهي قانون احياء الارض الميتة، وقانون تحريم الربا، وقانون القرض بلا عوض، وقانون الارث، وقانون تقسيم العمل، وقوانين العقود كالمضاربة والمزارعة وغيرها .

وبالاضافة الى ذلك، يبحث الموسوي معوقات استثمار الموارد الطبيعية، ومنها البطالة، وحالات شبيهة بالبطالة، والجهل بموارد الطبيعة، فيما يوضح ان العوامل المؤثرة في التنمية، هي : تكوين رأس المال، والادارة الجيدة، والاساليب والتطور التقني، واما العوامل المساعدة، فتتمثل في العوامل الفكرية والاجتماعية والسياسية والقانونية والابداعية .

ومن جميل ما في الكتاب ما اطلق عليه الباحث المعجم الاقتصادي لنهج البلاغة، فيتناول فيه مصطلحات وردت في النهج معرفاً من مثل : الاحتكار، واحياء الاموات، وبيت المال، والتنافس، والجباية، وما الى ذلك . وقد وضع امامها مرادفاتها باللغة الانجليزية .